بدايات الانتفاضة المسلّحة

شهدت الساحة الفلسطينية تطوّرات ذات أهمية بالغة، في الشهرين قيد المراجعة (من ١٩٩١/٦/١٦ الى ١٩٩١/٨/١٥)، سيكون لها أثر بالغ في المجابهة العسكرية، والشعبية، ضد الاحتلال الاسرائيلي. تمثّل الحدث الاول، في هذه التطوّرات، بازالة المعاقل العسكرية الفلسطينية الكائنة حول مدينتي صيدا وصور في جنوب لبنان، اثر عملية مزدوجة، قوامها تراجع طوعي فلسطيني استغل من قبل السلطة اللبنانية بهجوم للجيش اللبناني. أمّا التطوّر الهامّ الآخر، فهو اشتداد المظاهر المسلّحة للانتفاضة الشعبية في الارض المحتلة؛ اذ ارتفعت وتيرتها بقوة، وتنوّعت، من حيث السلاح والشكل. وترافقت هذه التطوّرات مع تشديد اسرائيلي مقابل، في المجال الامني وفي جنوب لبنان، حيث ازدادت الضغوط على اسرائيل لحملها على الانسحاب من الشريط الحدودي.

عودة الى المخيّمات

كانت قضية انسحاب القوات الفلسطينية من مواقعها في اقليم التفاح وشرق صيدا موضع المباحثات بين الوفود الفلسطينية والوسطاء وبعض المسؤولين العسكريين اللبنانيين منذ شهور عدّة. وكانت منظمة التحرير الفلسطينية تعلن، باستمرار، عن استعدادها لاخلاء مواقعها لصالح انتشار وحدات من الجيش اللبناني، مطالبة، في الوقت عينه، الحكومة اللبنانية باستقبال وفد فلسطيني رسمي للتباحث في العلاقات والاوضاع المدنية للسكان الفلسطينيين في لبنان. غير ان هذه الاتصالات والطلبات لم تحمل الحكومة على الردّ بحوار رسمي؛ بل اكتفت بالاعلان، فجأة، في أواخر حزيران (يونيو)، عن نيّتها تنفيذ خطة انتشار الجيش في موعدها الاصلي، أي الاول من تموز (يوليو)، دون تحاور أو تشاور، الأمر الذي دفع احد مسؤولي «فتح» في لبنان، زيد وهبه، الى التصريح بأنه لن يحصل «انتشار بلا حوار» (**الحياة**، لندن، ١٩٩١/٦/٣٠).

وعلى الرغم من المحاولات الاخيرة، انطلق الجيش اللبناني لتنفيذ خطة انتشاره من طرف واحد، عند السابعة من صباح الاول من تموز (يوليو). وقد حصل تبادل نار خفيف عند قرية كفر جرّة، ممّا شجّع الجيش على فتح النار بشكل شامل وتحويل تحرّكه الى هجوم عنيف. وسرعان ما تراجعت «قوات بدر» التابعة لتنظيم اسلامي لبناني محلي، قوامها ٣٥٠ مقاتلاً، الى داخل صيدا، ومعها مقاتلو «حزب الله»، وفعل مثلهم مقاتلو الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، و«فتح ـ المجلس الثوري» (جماعة ابو نضال)، وبذلك تمكّن الجيش من السيطرة على محور تلة شرحبيل والصالحية وعبرا، ثمّ استكمل السيطرة على كفر جرّة وكرخا وعين المير ولبعة، بعد ان حاولت «فتح» دعمها بالنجدات خلال النهار (**المصدر نفسه**، ٢ و٤ و١٩٩١/٧/٧). وكان حوالى ثلاثة آلاف جندي لبناني، بينهم مئات عدّة من المغاوير، شاركوا في القتال على هذا المحور، تدعمهم كتيبة دبابات وثلاث كتائب مدفعية وناقلات جنود وغير ذلك.

أتاحت هذه النجاحات للجيش اللبناني مواصلة تقدّمه في اليوم التالي؛ فانطلقت وحداته من مواقعها الجديدة في المحور الشمالي ومن ثكنتها ومواقعها في تلة مار الياس ومن مغدوشة جنوباً، لتحاصر ٤٠٠ من مقاتلي «فتح». وقد انتهت المعارك المتقطعة مساء، بعد الانسحاب الفلسطيني من قرى بيصور وجنسنايا والقريّة وعين الدلب. هذا، واستمرت المعارك، في الثالث من تموز (يوليو)، في بعض النقاط؛ اذ سعى الجيش اللبناني الى تثبيت مواقعه في بلدة الميّه وميّه ومشارف عين الحلوة، وأحرز نجاحات جزئية. وحين استقر وقف اطلاق النار، في الرابع من الشهر، كانت حصيلة المواجهة بلغت قتيلين في صفوف الجيش و١٥ في صفوف القوات الفلسطينية، الى جانب ١٢ جريحاً و١٥